

## «ليلة القدر» عظمة الأجر



من الحقائق الثابتة التي ذكرها ﷺ في كتابه الكريم هي ليلة القدر التي نزلت سورة كاملة فيها باسم سورة القدر (إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنزِيلُ الْكِتَابِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ). وهي ليلة عظيمة يكتب فيها لكل إنسان قدره السنوي وما يجري عليه من أحداث الخير والشر إلى مثل هذه الليلة من العام الذي يليه. والمراد بالقدر هو المقدرات الإلهية للإنسان التي تتجاوز إرادة الإنسان وتمضي به في المسار الذي أَرَادَهُ ﷻ له والذي عبَّرَ عنه رسول ﷺ - صلى ﷻ عليه وآله وسلم - بقوله: (الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَجَّهَ ﷻ وَأَمَّنَ بِالْقَدَرِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَا قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع): الْقَدَرُ سِرٌّ مِنْ سِرِّ ﷻ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ ﷻ، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ ﷻ، مَرْفُوعٌ فِي حِجَابِ ﷻ، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ ﷻ. وقد أوضح بعض معالمه الإمام زين العابدين عندما سأله رجل عن عمل الإنسان وعلاقته بالقدر فقال (ع): إِنَّ الْقَدَرَ وَالْعَمَلَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَالرُّوحُ بِغَيْرِ جَسَدٍ لَا تُحَسُّ، وَالْجَسَدُ بِغَيْرِ رُوحٍ مُّوَرَّةٌ لَا حَرَكَتَ بِهَا، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيًّا وَصَلُّحًا، كَذَلِكَ الْعَمَلُ وَالْقَدَرُ شَيْئًا لَا يُدَسُّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِمُوافَقَةٍ مِنَ الْقَدَرِ لَمْ يَمُضْ وَلَمْ

يَتَمِّمٌ، ولكنَّهُما باجتماعهما قويا، وفيه العَوْنُ لعبادته الصالحين. فالمقادير في نهايتها كلها تعود في ولكنّه أعطى جزءاً منها للإنسان ليتصرف فيه بإرادته واختياره بدون قهر أو جبر (وهو في ذلك ضمن إرادة الله ولا يخرج عنها) وأبقى الجز الآخر لإرادته الإلهية المباشرة، سواء اتصف التقدير الإلهي بالتوفيق والتيسير والألطف الإلهية لعبده أو بالصدِّ والمنع والعقوبات الإلهية، فإنَّ قدر الله هو الغالب والمهيمن على الإنسان، مع إنَّ بعض هذه الألفاظ أو العقوبات ترتبط في جزء منها بعمل الإنسان وانعكاسه غير المباشر عليه أو على بعض أمور الحياة عموماً. عن أمير المؤمنين (ع) قال: الأمرُ بالطَّاعةِ، والنَّهْيُ عن المعصية، والتَّامِّكينُ من فعل الحَسَنَةِ وترك المعصية، والمعونةُ على القُرْبَةِ إليه، والخِذلانُ لمن عَصَاهُ، والوَعْدُ والوَعِيدُ، والتَّوَعُّبُ والتَّرهيبُ، كُلُّ ذلك قضاءُ الله في أفعالنا وقَدَرُهُ لأعمالنا. ولهذا كان الحثُّ لأهل الإيمان على الاستفادة العظمى من ليلة القدر باعتبارها ليلة تثبيت المقادير السنوية حيث يكون تقادير الإنسان لمدة سنة قد حسمت في ليلة القدر كما في الحديث عن الإمام الباقر (ع) عندما سأله أحدهم عن قول الله عزَّ وجلَّ (إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (الدخان/ 3): قال: نعم، هي ليلة القدر، وهي من كلِّ سنةٍ في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله عزَّ وجلَّ: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (الدخان/ 4)، قال (ع): يُقَدَّرُ في ليلة القدر كُلُّ شَيْءٍ يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل (أي السنة القادمة) من خيرٍ أو شرٍّ، أو طاعةٍ أو معصيةٍ، أو مولودٍ أو أجلٍ أو رزقٍ، فما قُدِّرَ في تلك الليلة وقُضِيَ فهو من المحتوم. وفيه المشيئةُ. فقليل له (ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ) أيُّ شَيْءٍ عنى بها؟ قال: العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدر، ولولا ما يُضاعفُ الله للمؤمنين ما بلغوا ولكنه الله عزَّ وجلَّ يُضاعفُ لهم الحسنات.

ورغم أنَّ الله قد أخبر عباده أنَّ ليلة القدر هي في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه ولكنه أخفى وقت ليلتها عنهم وذلك لكي يتسابق العباد إليها ويجهدوا في الحصول عليها والفوز بها، علماً بأنَّ التوفيق لهذه الليلة يتأثر كثيراً بأعمال العباد في شهر رمضان خاصة. عن الإمام الصادق (ع) قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا دخلَ العشرُ الأواخرُ شَدَّ المِئزَرَ واجتَنَبَ النَّسَاءَ وأحيا اللَّيْلَ وتفرَّغَ للعبادة. وعن أحد أصحاب الإمام الصادق سأله عن قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فقال (ع): نَعَمْ، هي ليلة القدر، وهي في كُلِّ سنةٍ في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله عزَّ وجلَّ: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) أيُّ يُقَدَّرُ في ليلة القدر كلُّ شَيْءٍ يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابلٍ من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ ومولودٍ وأجلٍ ورزقٍ.

